ولتحرير قراءة التجربة من الأوهام، ثبت، بالتدقيق، أن الحاج أمين الحسيني، لم يكن معنياً، أو على صلة، بالوظائف التي مارسها الشيخ عز الدين القسام كمدرس وامام ومأذون شرعي. اذ نال القسام تعيينه في مدرسة البرج الإسلامية وفي جامع الاستقلال عن طريق الجمعية الإسلامية في حيفا[١٠٨]، ونال وظيفة المأذون الشرعي عن طريق الشيخ صبحي خيزران[١٠٩]، بعد انتقاله من عكا، وتوليه منصب القاضي الشرعي لمدينة حيفا. ولأن أوقاف حيفا لها استقلاليتها في تعيين المدرسين والخطباء والمأذونين الشرعيين[١١٠]، يصبح من نافلة القول، نفي علاقة الحاج أمين الحسيني والمجلس الإسلامي الأعلى بهذا التعيين. ويصدق الأمر كذلك، على كل الذين عملوا في مدرسة البرج الإسلامية مثل هاني أبو مصلح، رشيد بقدونس، عبد الله الخطيب، سعيد الحاج ابراهيم والشيخ كامل القصّاب. والصلة الوحيدة التي كانت قائمة بين المفتي والمدرسة هي تلبيته دعوتها لحضور الحفلة السنوية الختامية، التي كانت تتضمن بعض العروض المسرحية. وهذه الصلة هي مفتاح العلاقة بين عز الدين القسام وأمين الحسيني.

ومن الخطأ اعتماد هذه الوقائع للتدليل على التناقض بين نهج القسام والمفتي. فالحاج أمين الحسيني، ليس بحاجة الى شهادة جديدة، للتدليل على خطه الإصلاحي التقليدي، وعدم مراهنته على الثورة المسلحة، كخط استراتيجي في النضال ضد الانتداب البريطاني والصهيونية، لأن تجربة الرجل كلها من عام ١٩٢٢الى عام١٩٣٦، هي دليل نموذجي على ذلك.

لقد كان الحاج أمين على علاقة بالعمل المسلح والعنف الجماهيري لثلاث مرات فقط، قبل هروبه من القدس والتجائه الى لبنان. مرّتان قبل توليه رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى، ومرة بعد توليه رئاسة اللجنة العربية العليا.

وكانت المرة الأولى حين قاد حوالى «ألفي مسلح»[١١١] في الثورة العربية الكبرى، ومعروف أن الثورة العربية قامت على أساس التحالف مع بريطانيا سياسياً، وأن قواتها كانت تحت امرة القائد البريطاني اللنبي في مسرح العمليات الحربية.

أما المرة الثانية، فكانت حين شارك في موسم النبي موسى في نيسان (أبريل) ١٩٢٠، في القدس، والقائه خطبة حماسية دعت الى تنصيب الأمير فيصل ملكاً على العرب، ودفعت، مع غيرها من الخطب، حماس الجماهير للاصطدام مع عصابات جابوتينسكي الفاشية.

ولا يوجد في الحادثتين ما يوحي، علناً أو ضمناً، باصطدام الحاج أمين الحسيني مع الاحتلال البريطاني. وحتى المؤرخين، الذين صوّروا انتفاضة آب (أغسطس) ١٩٢٩، على أنها ثورة البراق وعلى رأسها المفتي، أشاروا، هم أنفسهم، الى خطاب المفتي أمام جماهير المتظاهرين في باب العمود في القدس، يوم ٢٣ آب (أغسطس)، مجدداً ثقته بحكومة الانتداب «الحكومة قوية وستحميكم من اليهود وتحافظ على حقوقكم ومقدساتكم»[١١٢].

أما المرة الثالثة، فكانت خلال الاضراب الكبير عام ١٩٣٦، عندما جاءت قوات فوزي القاوقجي من العراق، بعلم مسبق من الحاج أمين الحسيني، كرئيس للجنة العربية العليا. ويقول فوزي القاوقجي، في مذكراته، ان اللجنة أخذت تسمعه يتحدث بابهام «عن امكان عقد هدنة مع الانكليز... حتى فوجئنا باعلان الهدنة من قبل الانكليز، وبنداء ملوك